



ملاح الهوية الوطنية في الشعر الجزائري الحديث والمعاصر
قراءة في ديوان أحمد سحنون (1907م-2003م) "نموذجاً".

The National Identity Features in Modern and
Contemporary Algerian Poetry: Reading in Ahmed
Sahnoun's Collection (1907-2003) as a Model

محمد فوضيل¹

مخبر الدراسات الأدبية والنقدية جامعة البليدة الجزائر

¹ جامعة يحيى فارس المدية (الجزائر)، mohafod14@gmail.com

ملخص:

تتناول هذه الورقة البحثية الديوان الشعري لأحمد سحنون، مسطرة الضوء على قصائده الشعرية، للوقوف على ملامح الهوية الوطنية في الشعر الجزائري الحديث والمعاصر، كذلك من أجل التعرف على حدود تلك الهوية الوطنية الجزائرية عند أحمد سحنون، وأهداف المتوخاة من خلال تناولها لموضوعات دون غيرها. وبعدها تم الاستنتاج بأن الديوان يحفل بالكثير من القصائد الهوياتية التي تتمحور مواضيعها حول الأيقونة الثلاثية: الدين، اللغة العربية، الوطن (الجزائر)، استهدفها أحمد سحنون في ديوانه: للتعريف بعناصر الشخصية الجزائرية، والتأكيد على مقومات الهوية الوطنية، والمحافظة عليها، والدعوة إلى مقاومة الأعداء المغتصبين، لتظل الجزائر حرة مستقلة، ينعم أبناءها بخيراتها ومقدراتها.

كلمات مفتاحية: ملامح؛ هوية وطنية؛ شعري جزائري؛ حديث ومعاصر؛ أحمد سحنون؛ ديوان؛ الجزائر.

Summary:

This research paper examines the poetry collection of Ahmed Sahnoun, focusing on his poems to highlight the features of national identity in modern and contemporary Algerian poetry. It also aims to explore the roots

of this Algerian national identity as presented by Ahmed Sahnoun, as well as the objectives behind his choice of certain themes over others. The conclusion drawn is that the collection is rich in identity-related poems centered around the triad of religion, the Arabic language, and the homeland (Algeria). Ahmed Sahnoun targets these elements in his collection to define the characteristics of the Algerian personality, affirm the foundations of national identity, preserve it, and advocate for resistance against oppressors, ensuring that Algeria remains free and independent, allowing its people to enjoy its wealth and resources.

Keywords: Features; National Identity; Algerian Poetry; Modern and Contemporary; Ahmed Sahnoun; Collection; Algeria

1. مقدمة :

تعدّ الخطابات الأدبية على اختلاف أشكالها وأنماطها، أدوات طيّعة للكتاب والشعراء المبرزين في الكتابة، فهم يحملونها أفكارهم، ويترجمون بواسطتها عن خواطرهم وأحاسيسهم، ويدونون في أخبارهم وتجاربهم، ويعبرون بها عن آرائهم ومواقفهم، والتي تأتي في نصوص نثرية أو شعرية، بعناوين مختلفة أو متشابهة أو متطابقة في المواضيع، ومتباينة في المنطلقات، والأبعاد والأهداف، يمكن للمتلقي التعرف عليها من خلالها قراءته الفاحصة لتلك المتون من الخطابات، المعروضة عليها.

والهوية الوطنية من أبرز الموضوعات القديمة والمتجددة، شكلت ولا تزال حجر الزاوية في الخطابات الأدبية، يتفاعل معها المؤلفون، تفاعلاً جاداً، كونها من الموضوعات الهامة في حياة الأفراد، حيث تتميز بشدة الحساسية، فالحديث فيها، أو عنها يتطلب التروي والتثبت، والحيلة والحذر الشديد، إذ يكشف عن هوية الكاتب، وولاءاته، وصلته بوطنه، وعن أشكال وصور انتمائه لوطنه، وعن علاقاته المختلفة، التي تربطه بهذا الوطن، أو ذاك.

ولما كان التعبير الشعري، وسيلة من وسائل التعبير عن الأفكار، والانتماء الوطني، وتتجلى من خلاله مرتكزات الهوية الوطنية، أو ملامحها، وعناصر شخصية المواطن، نقف على إشكالية ملحة، نجعلها في التساؤلات التالية:

- ما مفهوم الهوية الوطنية في الخطاب الشعري الجزائري؟
- كيف تناول الشعراء موضوع الهوية الوطنية في أشعارهم؟
- ما حدود الهوية الوطنية في الشعر الجزائري؟
- ما الأهداف التي توخاها الشعراء الجزائريون في نصوصهم الهويةية؟

ملاحم الهوية الوطنية في الشعر الجزائري الحديث والمعاصر قراءة في ديوان أحمد سحنون
(1907-2003م) "نموذجاً" _____ (المجلد الرابع عشر / العدد الثاني / جلد 2025)

وللإجابة عن هذه التساؤلات، تمّ اختيار "ديون الشيخ أحمد سحنون" نموذجاً للدراسة، باعتقاد المنهج الاستقصائي الوصفي القائم على القراءة التحليلية، من أجل التعرف على حظّ موضوع الهوية الوطنية في هذا الديوان، وفيما يتجلى هذا الموضوع عند الشاعر أحمد سحنون، وما الأغراض الشعرية التي وظّفها، عند تناوله للهوية الوطنية، أو لأحدى عناصرها، وما بعد ذلك التناول بوجه عامّ.

1- تعريف موجز بالشاعر أحمد سحنون (1326هـ/1907م-2004م):

هو أحمد سحنون، ولد سنة 1326هـ، بقرية "ليشانة" قرب بسكرة وفيها تلقى تعلّمه الأول، ثمّ انتقل إلى زاوية "طولقة"، ثم انخرط في الحركة الإصلاحية فعين مديراً لمدرسة التهذيب بـ"بولوغين" بالعاصمة، بدأ في نشر مقالاته في جريدة البصائر¹، كان ينشر في هذه الجريدة الأدبية، التي لم تعرف الجزائر لها مثيلاً في مستواه الثقافي الأدبي، لا أثناء عهد الاستعمار، ولا حتى في عهد الاستقلال².

كانت الموضوعات المنشورة لأحمد سحنون تهتم "بتوجيه الناشئة الجزائرية بأدبيات الثقافة الإسلامية النقية، والفكر الإصلاحي، الذي كانت ترفع رايته جمعية العلماء، بالإضافة أن التّضح عن الجزائر وطنا، والعربية لغة، والإسلام ديناً³. وأثناء ثورة التحرير سجن مدة ثلاث سنوات، وفي هذه الفترة نظم جزءاً هاماً من شعره سمّاه "حصاد السّجن"، وبعد الاستقلال عين عضواً في المجلس الأعلى الإسلامي، وإماماً خطيباً بالجامع الكبير بالعاصمة⁴، وهي مراتب تغري من كان قلبه معلقاً بالدّنيا، إذ هي مقدمات لشهرة كاذبة تقضي نزوات عابرة⁵.

عاش فترات امتحان صعبة نظراً لمواقفه الصلبة في المطالبة بالتّطبيق السليم للمبادئ الإسلامية⁶، حلاً الأستاذ الهادي الحسني بقوله: "كان رجلاً ليس كأحد من الرجال، وعالمًا ليس كأحد من العلماء، فلقد أخلصت السنون جوهرة، وأظهرت البلايا معدنه، وأحكمت الفتن رأيه، وأعلت التّضحية منزلته، وأغلت المروءة قيمته، ورفع الرّهد مكانه..."⁷.

أصيب بنوبة قلبية... نقل على إثرها إلى المستشفى العسكري عين النعجة، حيث دلت الفحوصات أنه أصيب بجلطة دماغية عجلت بوفاته عن عمر يناهز 96 سنة⁸.

رحل الشيخ أحمد سحنون، وترك إنتاجاً أدبياً وفكرياً قيماً، تمثل فيما يلي:

- مقالات سياسية ودنية كثيرة، معظمها كُتب تحت عنوان (منبر الوعظ والإرشاد) في جريدة البصائر الثَّانِيَّة.
- دراسات وتوجيهات إسلاميَّة: (ط) (ش وك) سنة 1981م، في 361 ص.
- كتاب كنوزنا: يحتوي 300 ص، تناول تراجم بعض الصَّحابة⁹.
- ديوانه الشَّعريّ.

2. التَّعريف بالديوان الشَّعريّ لأحمد سحنون:

يحمل ديوانه الشَّعريّ عنوان "ديوان الشيخ أحمد سحنون"، وهو ديوان لم يحتوي جميع ماقاله، (ط) (ش ون ت) سنة 1977م، في 328 ص، ثمَّ طبع بعد وفاته طبعة ثانية، صدرت عن منشورات الحبر، بالجزائر، في طبعته الثَّانِيَّة، سنة 2007م، فيها زيادات كثيرة، وهذه الطَّبعة تتكون من ديوانين¹⁰.

1.2. الديوان الأول:

جاء هذا الديوان في 336 صفحة، "اشتمل على أزيد من 192 قصيدة ومقطوعة، ضمَّ فيه جلَّ شعره الذي نشره في جريدة البصائر الثَّانِيَّة، وحمل عناوين كثيرة منها: البصائر تتكلَّم، إلى المعلم، إلى الشَّاعر، بوركنت يا دار، أغنية البحر... الخ"¹¹.

2.2. الديوان الثَّاني:

ضمَّ هذا الديوان 416 صفحة، "احتوى ما يقارب 412 قصيدة ومقطوعة، ضمَّ فيها قصائد سجلها في السَّجن، وأخرى مهدية إلى أبنائه وذريته، وقسَّمه إلى أقسام حملت عناوين متنوعة منها: قصائد من السَّجن، بين السَّياسة والوطنِيَّة، أفانين رفيق القلب، باقة شعر للأحبة، فراق الأحبة... الخ"¹².

3. بعض ملامح الهويَّة الوطنيَّة في الديوان:

1.3. تخليد شعار "الإسلام ديننا، والعربيَّة لغتنا والجزائر وطننا":

لقد كانت بنود الشَّعار جمعية العلماء المسلمين محور قصائد الديوان، فأغلب القصائد جاءت للتأكيد على ارتباط الشَّيخ أحمد سحنون بمبادئه، وبكلِّ ما يثبت أصالته، ويرسخ هويته، ويكرس انتماءاته، فكان الدِّين الإسلاميّ، واللُّغة العربيَّة، ووطنه القوميّ "الجزائر"، شغله الشَّاغل، أوقف حياته كلّها من أجل ذلك، وكتب عن يلومه في شدَّة التَّعلق بها، قصيدة حملت عنوان "لا تطل لومي"، يقول فيها:

لا تطل لومي ولا تطلب نشيدي	أن في شغل بتحطيم قيودي
أأغني ولساني موثق	ويطوق خانق طوق جيدي؟
أأغني ويدي مغلولة	وبرجلي قيود من حديد؟
أأغني من غدا موطنه	بين أنياب ذئاب وأسود؟
أأغني من غدت أمته	يعد عز الملك في ذل العبيد؟
أأغني وأنا في مآثم	بعد دهر كله أيام عيد؟
لا أغني قبل أن أجلي المنى	وأرى الإسلام خفاق البنود
لا أغني قبل تحرير الحمى	فإذا حررت غنيت نشيدي ¹³

في الشيخ أحمد سحنون يسأل من يلومه في تعجب، ويؤكد له، بأنه لن يهدأ له بال، ولن ينعم بفرح أو سرور، إذا كان لسانه "لغته" مقيد، وإسلامه مصادر، ووطنه مغتصب من قبل الغزاة المحتلين، وكما أنه يؤجل غناؤه ونشيدته، حتى يتحقق التحرير، والنصر على الأعداء، وتسترجع بلاده عافيتها وحقوقها المنهوبة.

2.3. الاعتزاز بالدين الإسلامي دين الدنيا والآخرة:

يعلن الشيخ أحمد سحنون عن دينه، ويذيع إسلامه، ويكتفي به ديناً، لأنه يحتوي المكارم كلها، ولن يهيب بأعداءه وحساده، وسيظل طول حياته مسلماً، فهو لا يخشى الموت في سبيل الاعتزاز بالإسلام، وهذا قوله باللفظ الصريح في قصيدته ((أنا مسلم)):

أنا مسلم وكفى بأني مسلم	حوت المكارم كلها أنا مسلم
أنا مسلم رغم العدا فهم الأولى	كانوا العدا حسداً لأني مسلم
أنا مسلم ما عشت لا أخشى الردى	لكن أسر به لأني مسلم ¹⁴

يتمسك أحمد سحنون بإسلامه، لأنه دين يشفي الجراح جميعها، وتحلّ بفضلها مشاكل الحياة كلها، وهو سبب للوصول إلى الخالق جلّ علا، ووسيلة لرضاه، ومطية للفوز بلقائه في الآخرة، والظفر بالجنان والتمتع برؤيته سبحانه وتعالى، وذلك ما نلفيه في الأبيات التالية:

أنا مسلم تشفى الجراح جميعها	وتحلّ مشكل وضعنا أنا مسلم
أنا مسلم سبب الوصول لخالقي	ووسيلتي لرضاه أني مسلم

أنا مسلم سأفوز يوم لقائه بجميل رؤيته لأنني مسلم
أنا مسلم داري هناك بجنة الفردوس تخليدا لأنني مسلم¹⁵
إن في ارتضاء الإسلام ديناً، تكتمل سعادة الفرد، ويحظى بالحسنى، ويتحقق له المجد
في الدنيا، والخلود في الآخرة، ويرى أحمد سحنون من العقوق، من لم يقول عنه مسلم، يقول
مخبراً عن ذلك:

أنا مسلم حزت السعادة كلّها وحظيت بالحسنى لأنني مسلم
أنا مسلم كانت بداية مجدنا وتكون آخر مجدنا أنا مسلم
أنا مسلم سمة الخلود لأمتي قد عقنا من لم يقل أنا ملّم¹⁶
فهو بهذا الإدلاء والكشف عن دينه، والاعتزاز بانتمائه للدين الإسلامي، يؤكد على أهمّ
مقوم من مقومات هويته، وهوية أمتّه الجزائرية المسلمة، والتي ينتمي إليها أصلاً وفصلاً، ودماً
وروحاً نفساً.

3.3. الحياة هي: الدين والاستقامة عليه:

يرى أحمد سحنون بأن الحياة بلا دين حياة حقيرة، يعيش الفرد فيه، تتقاذفه الأهواء
والشهوات، شأنه شأن أهل الجاهلية الذين ساسهم الجهل والعمى، وأن ترك الدين
والإعراض عنه، يجعل أتباعه صوراً وأشكالاً لا حياة فيها، وهي تضاهي الممات. يقول موضحاً،
في قصيدة عنوانها بـ((حياة بلا دين)):

حياة بلا دين حياة حقيرة تصرفها الأهواء والشهوات
كما كان أهل الجاهلية في عمى وجهل به قد عمّت الظلمات
وهل نن من بعد اطراح لديننا سوى صور ليست بهنّ حياة
وأيّ حياة للذي لم يكن له نظام حياة؟ إنها الممات¹⁷

إن الحياة في معتقدات أحمد سحنون لا تستقيم إلّا في وجود الدين والالتزام به،
والاستقامة عليه، والأخذ بتعاليمه، وإذا حاد المرء عنها، فهو في الضلال والشرّ، لا يجني من
تفكيره إلّا الخسارة، والبعد عن جادة الصواب، وهذا ما يرشد إليه في أمره، مؤكداً على
الالتزام بالاستقامة في قصيدته ((استقم!))، حيث يقول:

استقم فالحياة لا تستقيم طالما أنت في الضلال مقيم
استقم لا تقم على الشرّ إن كنت حكيماً فالشرّ رأيّ سقيم

استقم إن أردت مقاماً رفيعاً كيف يعطي الثّمار فكر عقيم؟
استقم يستقيم لك الدّين والدّنيا وتظفر بالمجد وهو عظيم
استقم فاستقامة المرء عنوان على أنه حصيف حكيم¹⁸

فاستقامة حياة الإنسان وشؤونها، وصلاح أحوالها، مرهونة بشرط استقامته على الدّين، وإن الإقامة على الشّر ليس من الحكمة بمكان، فالفوز، والظّفر بالمجد، والمكانة الرّفيعة، أمور كلّها مشروطة بالاستقامة على شريعة الاله، وهجران الضّلال، كما أنّ الاستقامة عنوان صلاح الفرد، وإمارة على رجاحة عقله.

إنّ البعد عن الدّين الإسلامي في منظور أحمد سحنون شقاء، وإنّ في تحكيمة ضمان للسيادة والرّقي، وتاريخنا يشهد لأمتنا، لمّا حكمت الإسلام، وجعلته دستوراً ومنهاجاً في حياتها، فبفضله سادت وفازت، وكانت في ظلّه خير الأمم، إذ يقول مثبتاً ذلك في قصيدته ((دين الله!!)، ما يلي:

ربّ إنّنا بغير دينك نشقى وتحكيمة نسود ونرقى
لن نكن خير أمة بسوى الإسلام إنّنا به نفوز ونبقى
خاب من حاد عن هداه فلم يقض على باطل ولم يقض حقا
إن دين الإسلام دستور من شرعة للعباد حقا وصدقا¹⁹

لم يكتف أحمد سحنون بتبيين فضل الدّين الإسلام في حياة الأمة، وفوزها به على غيرها من الأمم، في الأزمنة الغابرة، وخسارة كلّ من حاد عن هديه وروحه، ورجا الفلاح في غيره، بل راح يتعجب في ترك الناس ليدّينهم، وكفيل بأنّ يجعلهم سادة، يسوسون غيرهم، لكنهم يرضون إلّا أن يكون عبيداً أرقاء، وهذا ما نقرأه في تعجبه، مستفهماً:

عجبا كيف يترك النّاس ما يجعلهم سادة ويرضون رقا؟
من هنا ندرك الحقيقة للإنسان فهو الضّعيف فكرا ونطقا
هو لولا فضل من الله جمّ سحقه حوادث الدّهر سحقا²⁰

بعد تعجبه الشيخ أحمد سحنون من النّاس التّاركين لديّهم، الرّاضين بحياة الدّل والرّق، والاستعباد والهوان، ها هو يدرك بأنّ حقيقة الإنسان الضّعيف، سببها هجرانه لدين الله، وسيظلّ ضعيفاً في فكره ومنطقه، ما دام قائماً على الهجران، والبعد من الله، ولولا فضل الله،

ولطفه به، لسحقته حوادث الدهر، وصروفه سحقاً، لذا راح ينادي كلّ بعيد عن دين الله، للعودة إلى رحابه، فحاجة العبد لله مستمرة، كي تستقيم شؤونه، وينال ما يرغب فيه من حياة ورزق، في الدنيا والآخرة دون شقاء، أو عناء، وإذا استنكف ولم يعد، فحليفه الشقاء، وذلك ما يقول في ندائه التّالي:

يا بعيدا عن ربه وهو محتاج	إليه دوما حياة ورزقا
عد إليه فأنت عبد لديناك	تجد عنده من الرّق عتقا
وتنل ما تريد دنيا وأخرى	وإذا لم تعد فأنتك تشقى ²¹

4.3. الإشادة باللّغة العربيّة والدّعوة إلى ذكرها والاحتفاء بها:

دخل الأمازيغ من أبناء الوطن في الإصلاح وتعلموا لغة الإسلام العربيّة طائعين فوجدوا أبواب التقدم في الحياة كلّها مفتوحة في وجوههم فامتزجوا بالعرب بالمصاهرة وثاقفهم في مجالس العلم، وشاطروهم سياسة الملك، وقيادة الجيوش، وقاسموهم كلّ مرافق الحياة، فأقام الجميع صرح الحضارة الإسلاميّة يعربون عنها، وينشرون لواءها بلغة واحدة، هي اللّغة الخالدة، فاتحدوا في العقيدة والتّحلة، كما اتحدوا في الأدب واللّغة، فأصبحوا شعباً واحداً عربياً متحداً ممتزجاً غاية الامتزاج²².

واليوم فاللّغة العربيّة والأدب العربيّة، هي لسان الأمة الجزائريّة كلّها، لا يجهلها إلا عدد ضئيل جداً من المنقطعين في بعض رؤوس الجبال..... لقد تعربت الأمة الجزائريّة تعريباً طبيعياً اختيارياً صادقاً، فهي في تعريبها نظيرة إسماعيل جدّ العرب الحجازيين²³. من هذا المنطلق كانت عناية الشّيخ أحمد سحنون باللّغة العربيّة، شأنه في العناية بها، شأن باقي علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إذ راح يشدو بها، ويزود عنها، ويعلن انتسابه إليها، لا يبغى غيرها عنها بدلاً، فهي الكنز، والسّحر الذي فيه عجب العجائب، حيث يقول في قصيدته ((لغتي!)):

لغتي بها شاد العربُ
مجداً به ساد الأدبُ
إن ددت عنها لا عجبُ
فلغيرها لا أنتسبُ

لغتي هي الكنزُ اللبابُ

لغتي هي السّحر العجائب

مذ أصبحت لغة الكتاب

شاب الزّمان ولم تشب²⁴

اتخذها العرب لغة لهم، منذ أصبحت لغة القرآن الكريم، وشيدوا بها مجدهم، وساد
بفضلها أديهم، لاحتوائها على خصائص ليست في غيرها من اللّغات، ولا تزال لغة شامخة رغم
طول الزّمان.

لقد أحبّ أحمد سحنون اللّغة العربيّة، وصار هواها له نشيداً، يتجدد معه حبّه لها، فهو
يأمل أن يعيد ماضيها المجيد، وفجرها السّاطع، إذ تُرجمت إلّها علوم الأمم السّالفة، وطوّعت
أدائها لخدمة الذّوق العربيّ، وهذّت الأفكار، وتمّ للعرب مرادهم، وتحققت مطامحهم، كلّ
ذلك بفضل لسانهم العربيّ الغضّ، والذي يمتلك قدرة عجيبة على تكييف الدّخيل،
والاستفادة من كلّ شيء تبين نفعه، حيث يقول:

لغتي هواها لي نشيد!

حبّي لها أبداً جديد

سأعيد ماضيها المجيد

غضباً كشمس لم تغيب

هيّا نشيد بذكراها

ونعيد ساطع فجرها

أنا كتيبة نصرها

لسنا نبالي من غضب²⁵

وفي ختام قصيدته ((لغتي!))، يعلنها دعوة صريحة، للإشادة باللّغة العربيّة، ليسطع
فجرها في الأفق، ويضيء من جديد، كالشمس المشرقة، والسّير قدماً، من أجل نصرتها، دون
مبالاة بمن يغضب ويعارض.

5.3. التّغني بالوطن والحنين لأيام الحياة الأولى من العمر:

إنّ حبّ الوطن من الإيمان، ويدفع حبّه المواطن الصّالح إلى التّعلق به، فيتغنى به، في
كلّ حالاته، لأنّه يجمع للفرد أهله، وذريته، وشؤونه وأشغاله في هذه الحياة، لذا نجد أحمد

يتغنى بوطنه في قصيدته ((وطني!))، ويتذكر فيها أحلامه، وصباه، وغير ذلك من متعلقات حياته، يقول منادياً:

يا أرض أحلامي، وسماء إلهامي.
يا مهد صباي، ومهد هواي.
يا مسرح أفكاري، ودنيا أشعاري
يا ملتقى رغباتي، ومستودع ذكرياتي
يا مرقد أجدادي، وموطن أمجادي²⁶

يعدّ الوطن عند أحمد سحنون هو: أرض أحلامه، ومصدر إلهامه، ومهد طفولته، ومسرح أفكاره، وملتقى رغباته، ومستودع ذكرياته، ومرقد أجداده، وموطن أمجاده، وهذه الأوصاف للوطن، يستنتج، أنه الشيء الذي لا يعوض، ولا يستبدل إذا ضاع.

6.3. الاعتراف بفضائل الوطن ونعمائه:

أنّ للوطن فضائل كثيرة، يُكرم بها أبناءه دون تميز، منذ نعومة أظفارهم، وتظلّ ترى عليهم، وتفيض، حتّى بعد وفاتهم، وهذا ما دفع بالشاعر أحمد سحنون للاعتراف بفضل بلاده عليه، وما أغدقه عليه من خيرات ونعم، فهو البلد الذي تربى في أحضانه، وذاق السعادة في أرضه، واشتمّ سنا الجمال في آفاقه ورباه، وهذا ما يرغبه في الحياة والموت فيه، ولأجل وطنه، يقول موضحاً هاته المعاني، ويتساءل: لم لا يموت ويحيا لهذا الوطن؟، يقول مخبراً، ثمّ مستفهماً، ما يلي:

بلادي تربيّت في حضنك
وذقت السعادة في أرضك
وشمت سنا الحسن في أفقك

فلم لا أموت وأحيا لك؟²⁷

وفي موطن آخر، في قصيدة أخرى، يذكر ويشيد بفضل بلاده عليه، لأنه قضاء فيه كلّ مراحل حياته، مشغولاً بحسه، معرباً عن استيائه من كلّ من يجعل بلده مطيّة للسخرية والاستهزاء، خاصة إذا كان الساخر من أبناء الوطن، يقول في ذلك:

بلدي الذي قد عشت تحت سمائه ونعمت فيه بسمائه وهوائه
وقضيت فيه شيبتي وكهولتي وشغفت فيه بحسنه وبهائه

ملاحم المويّة الوطنيّة في القعر الجزائريّ المديح والمعاصر قراءة في ديوان أحمد سحنون
(1907-2003م) "نموذجاً" _____ (المجلد الرابع عشر / العدد الثاني / جردن 2025)

إنّي سأحرسه وأحمي أرضه وسأبذل الغالي لأجل فدائه
وأذود عنه الطّامعين وكلّ من يشري سعادة نفسه بشقائه
ويسوؤني أن أراه مسخراً لمسخر لسواه من أبنائه²⁸

إنّ هذا الاعتراف يجعله أحمد سحنون، مستعداً لحماية بلده، بأدلاً الغالي والنّفيس،
من أجل الذود عن حيّ وطنه، ليدحر كيد الطّامعين في خيراته، والحفاظ على ما فيها من
خيرات ونعم، وهذا ما يتغنّى به الشعراء في أشعارهم ووقفاتهم، معتبرا الجزائر أجمل بقعة،
لكونها مصدر إحياء لقول الشّعر، واعتباره ملقن الدرس الخالد للمستعمر، تمحور في
استئصاله واقتلاعها من جذوره، حيث يخاطب الجزائر قائلاً:

بلد الجزائر أنت أجمل بقعة عني عليها الشّعر خير غنائه
في كلّ شبر منك وقفة جادت له بالسّحر من إيحائه
وبكلّ منعطف رفات مجاهد لقي الردى والمجد ملء رداؤه
لقينت الاستعمار دسا خالدا وحكمت باستئصاله وفنائه²⁹

ثم يذكّر أجداده الذين حموا أرض وطنهم الخصبة، وكانوا بارين بأقّهم (وطنهم)، فلم
يعرفوا عيشة مجدبة، وعاشوا في الوطن، وماتوا دفاعاً لأجله، حيث يقول، مخبراً عنهم:

جدودي حموا أرضك المخصبه
وبرّوا بأقّهم المنجبه
فلم يعرفوا العشيّة المجدبه

وماتوا عليك وعاشوا لك³⁰

7.3. التّضحّة والفداء / الحياة والموت من أجل الوطن :

وليثبت أحمد سحنون إدعاءه، راح يمدّ يديه، ويقدم روحه، دون اكتراث برصاص
الأعداء، معاهدا بلاده على التّضحية والفدى، حتى يرفع راية بلاده فأعال القمم، وتسمع
بمجده سائر الأمم، وذلك ما فعله شباب البلاد في جبال الأوراس، وجرجرة، وفي كلّ ناحية من
تراب الوطن، وهذا ما نقرأه في قوله:

وها قد مددت إليك اليدا
وقدّمت روحي إليك فدى

ولم أكثرث برصاص العدا

لأفني عليك وأحيا لك

بلاد سارفع فوق القمم

لواءك رمز العلا والعظم

وأنشر مجدك بين الأمم

وأفنى عليك وأحيا لك

"بأوراس" منهم عناد عظيم

"وورسوس" فيها شباب كريم

"وجرجرة" ذات مجد صميم

نموت عليك ونحيا لك³¹

يكرر أحمد سحنون قضية الفناء=الموت/ والحياة كلازمة في هذه القصيدة، للتأكيد على استعدادده لنصرة وطنه، دون تردد أو خوف من رصاص الأعداء، لكي يرفع لواء العلا والعظمة فوق قمم الجبال الشامخة.

يعتبر نفسه ممن أنجهم وطنه ليكونوا فداء له بأرواحهم، فإذا عاشوا وطالت حياتهم، تنعموا بخيرات وطنهم ومحاسنه، وكانوا في ذلك سعداء، وإذا أدركتهم الشهادة في سبيله، وماتوا من أجل حريته كانوا من الشهداء، حاله حال فتية الوطن الذين قدّموا أرواحهم قرايين وهدايا لتحريرها غير مبالين بالموت وما يسبقها من بلايا وأصناف الرزايا، وهذا في قوله:

إنّ في أرضك آساد وغي لا يبالون بألوان الرزايا

إن فيها فتية لا تنثني عن مرامها ولو راحت ضحايا

وضحايا قدّمت أرواحها لك قربانا عزيزا وهدايا

إن فيها أمة ماجدة! لم تدع للنّاس من مجد بقايا

أنا من أنجبته كي يفتدي كلّ جزء منك من كلّ البلايا

أنا من ألهمته الشّعري الذي صاغه فيك ثناء وتحايا!

أنا إن أحيا فيك أحظى بما فيك من حسن ومن غر سجايا

وإذا متّ شهيدا بالذي لك في قلبي فقد نلت منايا³²

8.3. الحبّ والولاء وشدة الشوق للقاء :

ملاحم المصوّبة الوطنية في الشعر الجزائري المديح والمعاصر قراءة في ديوان أحمد سحنون
(1907-2003م) "نموذجاً" _____ (المجلد الرابع عشر / العدد الثاني / جردن 2025)

إن حبّ أحمد سحنون لبلده، حبّ ظاهر للعيان، لا يقدر على إخفائه، لارتباط الوثيق بحياته ومعاشه، وكلّ ما له صلت بشخصته، مما جعله يقدم لوطنه ذلك الحبّ المقيد بالولاء، مقدّماً معهما: سعيه واجتهاده وجهاده، متحملاً كلّ الشدائد، والخطوب والرزايا، حاملاً السّلاح ضدّ أعداء وطنه، متحدّياً كلّ الطّغاة، متجاهلاً كلّ القوى والقيود، خدمة لموطني أجداده وأهله وذريته، وتحريره من ربة الاستعباد، وها هو ينادي في قصيدته "يا بلادي"، قائلاً:

يا بلادي يا أرض أهلي وأحابي	وماوى الأسود من أجدادي
وحى مولودي ونشأتي الأولى	ومثوى آبائي الأمجاد
والتراب الذي مشى "ابن نصير"	فوفه واحتى به "ابن زياد!"
لك حبّي على المدى وولائي	لك سعيي وخدمتي وجهادي
قد تحمّلت في هواك الرزايا	وتمرّست بالخطوب الشّداد
وحملت السّلاح ضدّ أعاديك	ومالي سوى عداك أعاد!
وتحدّيت كلّ طاغية يسعى	لتبقى أسيرة استعباد!
وتجاهلت ما حوته يداه	من نفوذ وقوّة استعداد
ولقيت المنون وجهاً لوجه	في ثبات وجراة واعتداد
ليس لي في كفاحي أعداء قومي	غير تحرير أمّتي من قيود مراد ³³

فحبّ أحمد سحنون وولّؤه مقصود على بلاده، وكفاحه وسعه في خدمة وطنه، أمّا نضاله وتضحيته وحمله للسّلاح غايته من ذلك كلّّه هو تحرير وطنه من الظّلمة والأجانب الدّخلاء أعداء بلاده وأمّته. ولمّا طال بعد عن وطنه لكونه مبعداً مسجوناً، اشتد شوقه وحنينه للقاء وطنه، وما يحتويه من ممتلك: كالأهل والأحباب والأصدقاء، ومواطن الذكريات، يقول في خصوص هذا الوضع القائم منادياً ببلاده، سائلاً عن موعد اللقاء:

يا بلادي هواك نجواي في	سري وجهري ويقظتي ورقادي
طال شوقي إليك واشتد ما	ألقاء من حرقة النوى والبعد
هل سبيل إلى اللقاء وهل	للمبعد المدنف الحشى من معاد! ³⁴

4. حدود الهوية الوطنية عند أحمد سحنون:

إنّ حدود الهوية الوطنيّة في فكر أحمد سحنون، يراها في أن تكون "الجزائر" حيّة، ويظلّ حبّه للعروبة نشيده، ويرى أبناءها ينعمون بالحرية وتلك بغيته، فإذا تحقيق كلّ ذلك، فهو الطريق الذي تبلغ به أمته مجدها، وهذا ما يصرح به في مطلع قصيدته ((نشيد حياة الجزائر)) قائلا:

حياة الجزائر أمنيّتي وحبّ العروبة أنشودتي
وتحرير أبنائها بغيتي فسيري إلى المجد يا أمتي
فإنّا بنو المجد منذ القدم³⁵

لقد كانت قد وردت هذه المعاني مكررة شكلاً ومضموناً آخر القصيدة ذاتها، وكرر الشّطر الأول من البيت الأول والذي يقول فيه "حياة الجزائر أمنيّتي!" للدلالة على مدى تعلق الشّاعر أحمد سحنون بوطنه، وتمسكه بهويته، وما تكراره لها إلّا تأكيداً على وفائه لمبادئه، تعريفاً بشخصيته، واعتزازه بأصوله ومرجعياته، والمتمثلة في وطنه الجزائر وأمته، ولغته العربيّة، وهي خير اللّغات، ودينه الإسلام، وهو الدّين الذي يرتضيه الله لعباده، ففيه كلّ صلاح وخير، وفي تاريخ الأمة الجزائرية حافلاً بالعظم، حيث يقول في المجمل، بلسان الشّعور، ما يلي :

حياة الجزائر أمنيّتي!
لنا لغة الضّاد خير اللّغات ودين هدى النّاس للصّالحات
وسفر حوى الحكم البالغات فهبوا سراعاً غالى المكرمات
فتاريخكم حافل بالعظم³⁶

ففي هذه الأبيات نجد أحمد سحنون يؤكّد على انتماءاته والمتمثلة في: " الجزائر وطننا، والعربية لغتنا، والإسلام ديننا " وبذلك يعتزّ، ويفتخر، لما لتلك الثلاثة من خصائص ومميزات، لا تتوفر في غيرها، والتاريخ يشهد على ذلك.

5. أهداف الشيخ أحمد سحنون من تحريره في الموضوعات الهويّاتيّة:

لقد كانت للشيخ جملة من الأهداف المتوخاة من خلال تحرير في موضوعات الهوية والمرجعيّة الوطنيّة، يمكن لكلّ ذي لب الكشف عنها، والوقف عليها أثناء فهمنا للمضامين النصّية، والدلالة السطحية والعميقة، للكلمات والألفاظ، والعبارات وتراكيبها وأساليبها، ويمكن بيان بعض الأهداف في التالي:

التعريف بالأمة الجزائرية والوقوف على خصوصياتها.
التعريف بالمقومات الشخصية الجزائرية (الأرض، والشعب، والدين، اللغة،
والتاريخ....)

الدعوة إلى التمسك بالدين الإسلامي في مهج حياة ودين ودنيا.
الدعوة إلى الاعتناء باللغة العربية فهي لغة القرآن، وخير اللغات.
الدعوة المقاومة الفكرية والثقافية لمجاهة العدو الأجنبي.
الدعوة إلى التضحية والفداء في سبيل حرية الجزائر أرضا وشعبا وعقيدة.
الدعوة إلى حب الوطن والذود عنه، فذلك من كمال الشخصية الوطنية الحقيقية.

خاتمة:

وصفوة القول، وبعد هذا القراءة الخاطفة والسريعة، بحثاً ملاحم الهوية الوطنية في
ديوان الشيخ أحمد سحنون، يتم التوصل للنتائج التالية:

- أحمد سحنون عالم جزائري أديب، ومصلح اجتماعي.
- يعدّ الشيخ أحمد سحنون من أبرز قادة جمعية العلماء.
- تعرض أحمد سحنون للسجن والإبعاد، بسبب مواقفه الجريئة والمعارضة لفرنسا.
- للشيخ إنتاج أدبي وفكري (شعر، ونثر)، تمثل أغلبه في مقالات، نُشرت فالتصحّف النشطة، أهمها جريدة البصائر.
- جمعت قصائد الشيخ في كتاب يُعرف بـ((ديوان الشيخ أحمد سحنون))، ضمنه عددا لا بأسه من الأشعار والقصائد، تنوعت موضوعاتها، ومجالاتها، السياسية، والدعوية، والاخوانية، والوطنية، وغيرها.
- كان شعار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ((الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا))، وهو عبارة "أيقونة" تمحورت حولها قصائد الديوان، للتأكيد على الهوية الوطنية الجزائرية.
- حمل الديوان ملاحم شتى تدل على ترسخ الهوية الوطنية ومرجعياته عند أحمد سحنون، نورد بعضها فيما يلي:

- تخليد شعار " الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا".
 - الاعتزاز بالدين الإسلامي دين الدنيا والآخرة.
 - الحياة هي: الدين والاستقامة عليه.
 - الإشادة باللغة العربية والعودة إلى ذكراها والاحتفاء بها.
 - التّغني بالوطن والحنين لأيام الحياة الأولى من العمر.
 - الاعتراف بفضائل الوطن ونعمائه.
 - التّضحية والفداء / الحياة والموت من أجل الوطن.
 - الحبّ والولاء وشدة الشّوق للقاء.
- حدود الهوية الوطنية عند أحمد سحنون تتمثل في: حياة الأمة الجزائرية، واستقلال أراضيتها، وحرية أبنائها، وانتشار اللغة العربية بينهم، والالتزام بمبادئ الدين الإسلامي، فعند تحقيق هذا، يتم التّقدم واسترجاع الأمجاد الضائعة.
- للشيخ أهداف سامية ونبلية من خلال تحريره في موضوع الهوية الوطنية الجزائرية منها: التعريف بالأمة الجزائرية، الدّعوة إلى التمسك بالدين الإسلام ولزوم الاستقامة في الحياة، حبّ الوطن والتّضحية في سبيل الدعوة إلى مقاومة الاستعمار وغيره من الطامعين: بالعتاد، والفكر، والثقافة، وتوثيق الصّلة بالله تعالى.

مراجع البحث وإحالاته:

- 1- محمّد بن رمضان شاوش والغوثي بن حمدان، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، حسين داي- الجزائر، ط1، 01، 2011م، ص570.
- 2- عبد الملك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004م، ص448.
- 3- المرجع نفسه، ص ص 448، 449.
- 4- محمّد بن رمضان شاوش والغوثي بن حمدان، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، المرجع السّابق، ص570.
- 5- عبد الحفيظ بورديم، التجربة الشعرية في ديوان أحمد سحنون، دار البلاغ للطباعة والنشر، الجزائر، 2009م، ص ص 14، 15.

- 6- محمّد الأخضر عبد القادر السّانحيّ، روجي لكم تراجم ومختارات من الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص 81.
- 7- محمّد بسكر، أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة، دار كردادة للنشر والتّوزيع، الجزائر، ط2، 2015م، ج1، ص 180.
- 8- عبد الحفيظ بورديم، التجربة الشعريّة في ديوان أحمد سحنون، مرجع سابق، ص 17.
- 9- محمّد بسكر، أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة، المرجع السّابق، ص 180.
- 10- المرجع نفسه، ص ص 181، 180.
- 11- المرجع نفسه، ص ص 180.
- 12- المرجع نفسه، ص ص 181.
- 13- أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، منشورات الحبر، الجزائر، ط2، 2007م، ج1، ص 143.
- 14- المرجع نفسه، ج2، ص 367.
- 15- المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.
- 16- المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.
- 17- المرجع نفسه، ج2، ص 141.
- 18- المرجع نفسه، ج2، ص 55.
- 19- المرجع نفسه، ج2، ص 361.
- 20- المرجع نفسه، ج2، الصّفحة نفسها.
- 21- المرجع نفسه، ج2، الصّفحة نفسها.
- 22- عبد الحميد بن باديس، كيف صارت الجزائر عربيّة، مجلة الشهاب، قسنطينة، ج12، مج13، فيفري 1938م، ص 510.
- 23- المرجع نفسه، ص 511.
- 24- المرجع السّابق، ج1، ص 319.
- 25- المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.
- 26- المرجع نفسه، ج2، ص 387.
- 27- المرجع نفسه، ج1، ص 89.
- 28- المرجع نفسه، ج2، ص 114.
- 29- المرجع نفسه، ج2، ص ص 114، 115..
- 30- المرجع نفسه، ج1، ص 89.
- 31- المرجع نفسه، ج1، ص 90.

32- المرجع نفسه، ج 1، ص 117.

33- المرجع نفسه، ج 1، ص ص 92، 93.

34- المرجع نفسه، ج 1، ص ص 92، 93.

35- المرجع نفسه، ج 1، ص 322.

36- المرجع نفسه، ج 1، ص 323.

8- قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد سحنون: ديوان الشيخ أحمد سحنون، منشورات الحبر، الجزائر، ط2، 2007م، الجزء الأول.
2. أحمد سحنون: ديوان الشيخ أحمد سحنون، منشورات الحبر، الجزائر، ط2، 2007م، الجزء الثاني.
3. عبد الحفيظ بورديم: التجربة الشعريّة في ديوان أحمد سحنون، دار البلاغ للطباعة والنشر، الجزائر، 2009م.
4. عبد الحميد بن باديس: كيف صارت الجزائر عربية، مجلة الشّهاب، قسنطينة، الجزء 12، المجلد 13، فيفري 1938م.
5. عبد الملك مرتاض: معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004م.
6. محمّد الأخضر عبد القادر السّائحي: روجي لكم تراجم ومختارات من الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.
7. محمّد بسكر: أعلام الفكر الجزائريّ من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة، دار كردادة للنشر والتّوزيع، الجزائر، ط2، 2015م، الجزء الأول.
8. محمّد بن رمضان شاوش والغوثي بن حمدان: إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، دار البصائر للنشر والتّوزيع، حسين داي- الجزائر، ط01، 2011م.